قصّتان قصيرتان

سعيد عبد الفتّاح(*)

● الكروان

كنت أنتظره كلَّ صباح. أستمتع بشدوه. تصحو بداخلي الأمنيات كلّما اقترب. كان ينادي: حيّ على الفلاح. أبصره يرفرف ذاهباً، وفي الأوبة يشفي صدري من الأدواء. أتعلّق بالشّبّاك. أتابعه حين يعلو ويعلو ويبتعد. فينخطف قلبي إذ أشعر أنّه لن يعود. ينخطف قلبي، ويتحيّر عقلي في طرق قصده. لكنّه يعود، و يغنّي، ويتراقص أمامي. فيتراقص القلب ويبتهج. بزغت الأفكار تترى. كنت أميّز بينها. أرجّح واحدة على أخرى. وقرّرت. وارتحت إذ قرّرت. وبدأت أستعدّ لأوبته. جدّلت حبلاً متيناً لكي أضمن غناءه. أضمنه لي وحدي. وانتظرت. انتظرته متخفيّاً وراء الشُّبّاك. كان يمرّ كالريح أمام عيني. يمضي إلى نهاية الشّارع، ثمَّ يعود قريباً منّي، ويسعى متبختراً شادياً أمامي. طوّحت حبلي سعيداً فتعلّق. وشدّدت شدّدت فرحاً فإذا الغناء محزون والحبل يقبض على جناح رقيق مسربل بالأحمر القاني.. كنت مأخوذاً أتأمّله يحاول الطيران متخبّطاً. أجتهد في التحقّق. أيقظة أم نوم؟ فانزعج قلبي لشدّة انتباهي. وتمنّيت لو كان حلماً.

● عصافير الجنة

يزدحم رأسه بأصوات البلابل حين تصدح، والكروان ساعة شدوه، وزقزقة العصافير. وكلّما ذكر لزوجته شدّة الشّوق ولهفة الفؤاد تعلّلت. يصمت وينتظر. يكتفي متظاهراً بالاقتناع: أنَّ الأمر يحتاج إلى وقت. وقت تشعر فيه بحاجة الجنّة إلى عصافير، كحاجته إلى سماع الزقزقة وحفيف ورقة تتلوّى في الغصن، ورفيف الأجنحة. يتصابر ثمَّ يطير إليها طرِباً، منساب الوجد. تلقاه هادئة، وديعة. تتحدّث في ثقة: «لا أستطيع الصَّبر على...» تشير إلى بطنها. يغضب وتتعثّر كلماته. ينطفئ ما في قلبه من وهج. يتبدّل. يصرخ فجأة: «من الّذي لا يستطيع الصَّبر؟ أنا أيضاً لا أحتمل. لا أطيق.» يشتعل غيظاً لهدوئها. ينطلق تساوره الخواطر قلقة. ينزوي. يلعن إيثارها لنفسها. تخطفه حركة الكروان تتهاوى أمامه. يتابع شدوه منتعشاً. يشحذ استعداده للمجابهة بقوى جديدة.

القاهرة

(*) صدرت له مجموعتان قصصيّتان ورواية، وحقق كتابين من التراث الصوفي.

دار الآداب تقدّم

الكاتبة الفرنسيّة الكبيرة

مارغوريت يورسونار

مذكّرات أدريان

ترجمة: د. عفيف دمشقية